**جامعة وهران 2**

**كلية العلوم الاجتماعية**

**قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا**

**شعبة: علم الاجتماع**

**وحدة: التغير الاجتماعي**

**أ.د عمار يزلي**

**الدرس8**

**أشكال متعدد من التغير والتغيير**

**2/ التحديث:Modernisation**

يأخذ مفهوم التحديث جذوره الاشتقاقية في اللاتينية من كلمة "modo" التي تعني "مؤخرا" أو "الذي يأتي بعد القديم"، أو "أقل قدما من"[[1]](#footnote-2). غير أن مفهوم modernity، modernité، في الفرنسية والانجليزية، لم يدخل ضمن سياق الفكر الاجتماعي والسياسي إلا مع بداية القرن السادس عشر ضمن المرحلة الأولى "للتحديث" خلال الفترة التي تلت القرون الوسطى في أوروبا خلال عصر النهضة "La renaissance" الذي بدأ في إيطاليا كنتاج لما ألت إليه الحضارة الرومانية الإغريقية. فمفهوم التحديث هو وليد رقعة تاريخية محددة كما هو وليد رقعة جغرافيا محددة، هي أوروبا.[[2]](#footnote-3) فهو بالتالي مفهوم يختزن أكثر من مفارقة: يمثل الجديد قياسا بمرحلة "القرون الوسطى" ولكنه يتشبث بالكلاسيكية التي هي أرث الحضارة الإغريقية رومانية، مما يؤكد على أن مفهوم التحديث "modernisation" مفهوم إجرائي مرحلي مثلت مرحلة ما بعد الانبعاث الأوروبي بداية فلسفية له كون هذا المفهوم سيصبح فيما بعد وليد المجتمع الرأسمالي النامي عقب الثورة الصناعية الأولى في بريطانية بداية من 1801م، ثم الثورة الفرنسية 1789م[[3]](#footnote-4).

دخل مفهوم "التحديث"، الذي يختلف عن مفهوم "المعاصر" "Contemporain"،الذي يعبر عن وقتية وظرفية وراهنية زمنية لا تعني "Modern"، هذا الأخير الذي دخل أوربا مجال العلوم الاجتماعية في أوروبا، إشارة منه إلى الانتقال من المرحلة "ما قبل الحديثة" أو "ما قبل المعاصرة"أو "التقليدية"(traditionnelle) نحو مجتمع يقال عنه "حديثا" أو "معاصرا"[[4]](#footnote-5). فالتحديث مرتبط بالتصنيع والمدنية، وعليه نجد المؤرخ " Kendall"يقول:"يتماشى التمدن مع التحديث ومع سيرورة سريعة للتصنيع"[[5]](#footnote-6).فالتحديث من منظور النقد النظري السوسيولوجي مرتبط "بالعقلنة" Rationalisation بغيد تطوير الأداة والفاعلية في كل مجالات العمل من خلال وسائل وأدوات تقنية.[[6]](#footnote-7)

لقد سمحت الثورة الصناعية في أوروبا منذ القرن ال19م من الدخول في مجال التحديث الصناعي، خاصة في بريطانيا حيث أحدث ذلك تغييرا عنيفا على مستوى بنية المجتمع التقليدي أو ما قبل الصناعي, غير أن بقية الدول الأوربية وحتى أمريكا، لم يحدث معها هذا التغير "الثورة"ّ الذي حدث فيها بداية من 1801م، فيما بقيت الدول الأخرى، خاصة في أمريكا وآسيا منها الولايات المتحدة وروسيا واليابان، تترقب دخول مجال التحديث الصناعي بوثيرة أقل سرعة وعنفا على آليات التغير الاجتماعي الشامل[[7]](#footnote-8).

التحديث إذن، هي سيرورة التغيير الاقتصادي والاجتماعي عبر آلية الآلة، عبر التصنيع، من خلال مجتمع رأسمالي يعتمد على قواعد العقلنة وعلمنة الإدارة ومنها عبارة "البيروقراطية" التي تعني نظام "التسيير المكتبي" ولكن أيضا قواعد ونظم التسيير الشاملة وفي كل المجالات. فالتحديث كعملية اجتماعية قبل أن يكون مفهوما اقتصاديا واجتماعيا وتاريخا، هو أداة تطوير القديم التقليدي بوسائل أكثر عقلانية وأكثر صرامة في التسيير، مما يجعل مفهوم التغيير الذي أنتج التحديث، بحسب"[Bernard Charbonneau](https://fr.wikipedia.org/wiki/Bernard_Charbonneau)"، "في قلب إيديولوجيا التطور والتحديث ويمثل قانونا تطبيقيا وأخلاقيا لتاريخ ليس هو غير ذلك التيار الجارف"[[8]](#footnote-9)

التحديث كسيرورة، هو منشأ فلسفة اجتماعية بكاملها يعتمد عليها باراديغم بأكمله هي "الحداثة" Modernisme

"الحداثة"، إذن هي تحصيل حاصل لسيرورة التحديث، ضمن هيمنة النظام الرأسمالي، الذي يعتمد في أسسه على العقلانية في التسيير بغية تطوير الإنتاج وأدوات الإنتاج وصولا إلى التوزيع والاستهلاك بغاية الربح. هذا النظام الاقتصادي المعقد بحاجة إلى تنظيم دقيق يفصل بين السلطات والأفراد والجماعات ويحرر الإرادات والطاقات الإبداعية والإنتاجية. وعليه، فالحداثة بقدر ما هي فلسفة اجتماعية هي نموذج أو باراديغم أساسي اعتمد عليه الغرب الرأسمالي والحضارة الغربية العالمية اليوم.

الحداثة، في الغرب بعد الثورة الصناعية ودخول أوروبا والغرب مجال التصنيع والرأسمالية كانت تقتضي دفعا رباعيا متمثلا في: الفردانية، العقلنة، الحرية واللآئكية، وهذا إزاء مجتمع تقليدي تهمين عليه العلاقات الإنتاجية الإقطاعية (Féodalité) ونظام الإقطاعات الذي كان يكبح نمو عجلة الإنتاج الحرفي والصناعي في المدن وتسويقها عبر الأراضي التابعة للإقطاعيين المهيمنين على النظام الاقتصادي الزراعي التقليدي، حيث كان النبلاء والإقطاعيون يفرضون ضرائب على عبور أو مرور كل مادة إنتاجية نحو إقطاعية أخرى، مما يجعل تكلفة المتوج الحرفي ترتفع ولا تجد لها مستهلكا. هذا ما دفع بآدم سميث إلى إطلاق مقولته "دعه يمر دعه يعمل".

التصنيع الرأسمالي، هو مولد "الحداثة" في الغرب عبر العجلات الأربعة:

ـ الفردانية: Individualisme

وتعني تلك النزعة نحو الذات لذلك الإنسان الذي لا يقبل القسمة (Individu).

مفهوم الفردانية، مرتبط بالتحولات والاكتشافات التي عرفتها أوروبا منذ اكتشاف كروية الأرض على يد غاليليو وكوبرنيكوس في إيطاليا. ذلك أن مفهوم "الكوني" Universalis"، لم يكن معروفا بهذا المعنى الأنثروبولوجي والسوسيولوجي بقدر ما كان يعني ارتباطه ضمنا بمفهوم "الكوسموس" Cosmos" الذي يعني في الإغريقية ّذلك الكل المنظم"، أي "الناموس الكوني". غير أن اكتشاف كروية الأرض، غير من دلالة مفهوم الكونية إلى الذات الإنسانية وأصبح الفرد ينظر إليه على أنه كوني، إنساني، عالمي، غير مرتبط بمنطقة ولا إقليم ولا أثنية معينة. فهو وحيد في فردانيته متشابه مع الأفراد الأخريين في باقي المعمورة. وعليه، بدا مفهوم الحرية الفردية مع عصر الأنوار يعيد الاعتبار للفرد باعتباره مركز وليس هامش، ومنه جاءت الدعوة لتحرير الفرد والمجتمع من سلطة الكنيسة والقوانين القديمة التي كانت تشكل عائقا أمام تطور الفرد وتطويره لنفسه ومجتمعه. ذلك أن تاريخ أوروبا الذي عرف العبودية ثم الإقطاعية، لم يكن الفرد أحسن حالا إلا ضمن الطبقة المهيمنة: الأسياد خلال العهد العبودي (Esclavagisme) أو الإقطاعيين والنبلاء والأمراء والملوك والكهنوت خلال العهد الإقطاعي، ولم يكن الفرد من غير الطبقتين السائدتين ينعم بالحرية وبحق المواطنة Citoyenneté" إلا بعد الثورة الفرنسية سنة 1789م.[[9]](#footnote-10)

الفردانية والحرية إذن هي وليدة فلسفة الأنوار والثورة الفرنسية والعهد الصناعي الرأسمالي الذي ثار على التحالف الإقطاعي الكنسي وأعتبر الإكليروس قد خانوا العهد المسيحي، كما فعل "J.Benda" في مؤلفه "خيانة الإكليروس"[[10]](#footnote-11).

هذه النزعة مرتبطة ببقية عجلات الحداثة الثلاثة الآخرين وتشكل معهم قوة دفع للحداثة وللتحديث وللتطور وباقي المفاهيم الاقتصادية الاجتماعية التي ولدتها مرحلة ما بعد عصر الأنوار وما أحدثه الثورة الفرنسية في أوروبا فيما بعد.

ـ العقلانبة: Rationalisme

العقلانية منهج فكري فلسفي يعتمد على المنطق والاستنباط العقلي، فهو بذلك يمثل طريقا نحو المعرفة والفهم والإدراك عن طريق العقل.

العقلانية الغربية هي وليدة العقلانية الفلسفية الأولى التي ظهرت خلال القرن السادس قبل الميلاد في اليونان وأنتج الفلسفة الإغريقية. هذه العقلانية كان لها الأثر الكبير فيما بعد على عقلانية الحداثة الأوروبية بعد القرن ال17م باعتبارها منهجا فكريا وطريقا (methodos)، يعتمد على الاستقلالية الفكرية والتحرر من المعتقدات القديمة والخروج من دائرة الفكر الميثولوجي والغيبي "mythos"، الذي أملته التقاليد الكنسية خلال فترة الإقطاع والعصر الوسيط نحو أفاق الحقيقة العلمية "Logos"[[11]](#footnote-12).

العقلانية في التفكير والتسيير رفقة الحرية والفردانية وفصل الخاص عن العام هو لب الحداثة الغربية.

ـ الحرية: Liberté

يمثل عنصر "الحرية" الداعم الأساسي للفردانية. فهي في الأصل دعوى لتحرير الفرد من القوالب الجاهزة والخضوع لرقابة الكل على فردانيته. الحرية، كمفهوم فلسفي، مرتبط بترسانة مفاهيمية أنتجها النظام الرأسمالي في أوروبا إثر ثورته على النظام الإقطاعي الكنسي التقليدي الذي طالما اعتبر معتقلا فكريا واجتماعيا للفرد المواطن. وعليه، فالحرية والفردنة والمواطنة في المجتمع الغربي متلازمة لا يمكن فصلهما عن بعضهما مثلما لا يمكن فصل الثالوث الفرنسي عن بعضهم: الحرية، العدالة والأخوة.[[12]](#footnote-13) وعليه، فالحرية في الغرب هي روح الحداثة[[13]](#footnote-14)

ـ اللآئكية (العلمانية) Laïcité

هو مبدأ يعتمد على الفصل بين السلطات، بين العام والخاص من أجل تحرير الإرادة والعمل وتسيير الموارد والتحكم الأمثل في نظم التسيير المعقلن ضمن حرية الفرد وحقوقه وآليات تحقي ذلك. غير أن أهم علاقة ارتبطت بها اللآئكية بعد الثورة الفرنسية، هو فصل الدين عن الدولة: فصل الكنيسة عن السياسة وعن التعليم وإبقاء التدين مسألة فردية خاصة. هذا الفصل، هو النموذج الأشهر في الفصل ما بين السلطات في النظام العلماني. يسحب هذا الفصل عن باقي الأشكال التي يتشابك فيها الفردي بالجماعي والموضوعي بالذاتي.

الحداثة إذن هي كل متكامل من منظمة فكرية اجتماعية عمادها التسيير العقلاني في مجتمع رأسمالي الهدف منه هو الإنتاج، التسويق، الاستهلاك والربح وضمان الحريات الفردية والجماعية ضمن أطر قوانين وضعية تعتمد على المساواة بين الأفراد وبين الجنسين وحقوق الإنسان ضمن مبدأ "حريتك تنتهي حين تبدأ حرية الآخرين" التي أعلنها فولتير وفلاسفة عهد الأنوار الاجتماعين وعلى رأسهم "جان جاك روسو"، صاحب "العقد الاجتماعي".

1. <http://www.tumultieordini.com/article-36412289.html> [↑](#footnote-ref-2)
2. نفس المرجع [↑](#footnote-ref-3)
3. Op-Cite « Sur les classiques », dans *Autres inquisitions*, Paris, Gallimard, 1993, p. 818. [↑](#footnote-ref-4)
4. <https://fr.wikipedia.org/wiki/Modernisation>

   (تاريخ التصفح: 20/09/2019) [↑](#footnote-ref-5)
5. John D. Buenker et Robert M. Crunden, *Progressivism*, 1986; Maureen Flanagan, *America Reformed: Progressives and Progressivisms*, 1890s-1920s, 2007 [↑](#footnote-ref-6)
6. نفس المرجع [↑](#footnote-ref-7)
7. Shuzo Teruoka, *Agriculture in the Modernization of Japan, 1850-2000*, 2008 ; Cyril Black, *The Modernization of Japan and Russia*, 1975 [↑](#footnote-ref-8)
8. Bernard Charbonneau, Le changement, 2013 (in)

   <https://fr.wikipedia.org/wiki/Modernisation>

   (تاريخ التصفح: 20/09/2019) [↑](#footnote-ref-9)
9. كتاب العقد الاجتماعي لجان جاك روسو يذهب في هذا الاتجاه، تما كما يذهب إليه كتابه "خطب حول أصول وأسس الفوارق بين الناس:

   [Jean-Jacques Rousseau](https://fr.wikipedia.org/wiki/Jean-Jacques_Rousseau), [*Discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité parmi les hommes*](https://fr.wikipedia.org/wiki/Discours_sur_l%27origine_et_les_fondements_de_l%27in%C3%A9galit%C3%A9_parmi_les_hommes) [↑](#footnote-ref-10)
10. J. Benda, La trahison des clercs 1927  [↑](#footnote-ref-11)
11. <https://www.cairn.info/revue-le-philosophoire-2005-2-page-35.htm>

    (تاريخ التصفح:21/09/2019) [↑](#footnote-ref-12)
12. يمكن ربط كل ما تعلق من تغيرات في نظام الأسرة والمجتمع بشكل عام في الغرب ما بعد القرن العشرين بتأثير هذا الثالوث وأيضا بتأثر كبير لنمو الرأسمالية وقواعدها الفلسفية الاجتماعية "الحرية، الفر دانية، العقلانية واللآئكية".أنظر:

    J.-M. Gaillard, La famille en miettes, pp. 11 et 12). [↑](#footnote-ref-13)
13. <https://www.cairn.info/revue-le-philosophoire-2005-2-page-35.htm>

    (تاريخ التصفح:21/09/2019) [↑](#footnote-ref-14)